مدرسة قد سمح

بشرح المهندس علاء حامد

ملخص المحاضرة الثالثة

علاء حامد

Alaa Hamed

ملخص المحاضرة الثالثة

اختر فريقك

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.
أما بعد،
مرحبًا بكم في اللقاء الثالث من دورة مدارسة جزء قد سمع.
نواصل اليوم تدبر الثلث الأخير من سورة المجادلة، سائلين الله تعالى التوفيق لإتمامها.

في اللقاء السابق تحدثنا عن الأدب مع النبي ﷺ، كما ورد في قوله تعالى:
{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ}
وقد بيَّنَّا أن العمل بهذه الآية لم يَدُم طويلاً، إذ نُسِخت بقوله تعالى:

{ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ}

نبدأ اليوم من قوله تعالى:
(الآية 14):
{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}
الحديث عن المنافقين في المدينة الذين والَوا أعداء الله من اليهود، وأظهروا للمؤمنين خلاف ما يُبطنون.

{تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم}
تَوَلَّوْا: اتخذوا قومًا أولياء، أي ناصروهم ومالوا إليهم.
المقصود بهم غالبًا اليهود، لأن الغضب الإلهي ورد وصفًا لليهود في مواضع كثيرة. لأنهم ضلّوا على علم؛ أي عرفوا الحق ثم خالفوه.

إشارة إلى موالاتهم لليهود على حساب المؤمنين، رغم علمهم ببغض الله لهم.

{مَا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ}
أي المنافقون ليسوا مؤمنين خالصين ولا يهودًا صرحاء، بل في حالٍ من التذبذب.

الغضب الإلهي وصفٌ متكرر لليهود.
الولاية في الشرع لا تعني فقط القرب أو المعاشرة، بل لها معانٍ متعددة، منها:

1. المحبة القلبية: أن يحب الكافر ويبغض المؤمنين، فيصرف المحبة الشرعية في غير موضعها.
فالمؤمن مأمور أن يحب في الله ويبغض في الله.
قال تعالى:
{فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَـٰفِرِينَ}.
على المسلم أن يحب ما يحبه الله ويبغض ما يبغضه الله تعالى.

2. النصرة: أن ينصر الكافر على المؤمن، خصوصًا في حال الحرب أو الخصومة، وهو من أخطر صور الولاية.

3. التشبه بالكفار: في المظهر والعادات والتقاليد، مع الاستهانةٍ بهدي الإسلام وسننه.
كمن يُعجب بطريقة الكفار أو من يريد نقل التجربة الغربية كاملة إلى بلاد المسلمين، ويستخف بالسنن الإسلامية في المظهر والعادات، ويسخر من الحجاب وآداب الإسلام، وهذا بلا شك من اتباع الكافرين.

4. الطاعة في معصية الله: أن يطيع الكفار فيما يُغضب الله، كمن يكتب أو يتحدث بما يُهين الإسلام أو النبي ﷺ لإرضائهم.

درجات الولاية للكفار بين الكفر والمعصية :
فالموالاة الدينية، قد تصل إلى الكفر إذا أحب المرء دينهم أكثر من دين المسلمين أو أطاعهم في الكفر، مثل السخرية من الإسلام أو النبي ﷺ.

والدرجة الأدنى تدخل في المعصية، مثل تقليدهم في اللبس أو العادات دون إنكار الإسلام.

وقد نهى الله عن ذلك كما في قوله:
{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ}
(المُمْتَحنَةِ: 13)

الولاية الصادقة للإسلام تظهر في المحبة والطاعة والاقتداء:
فتحب المؤمنين وتطيعهم وتقتدي بهم وتنصرهم، وتبغض الكافرين وأفعالهم.
وتعتز بدينك وسنن الإسلام، وتتبع منهج الإسلام وأدابه وشعائره.
قال تعالى:
(وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا)

{مَا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ}
ينطبق على حال المنافقين في المدينة، وعلى رأسهم عبد الله بن أُبيّ بن سلول، الذي كان يتولى اليهود، ويؤيدهم وينصرهم من بني قينقاع وبني النضير، بل ويدافع عنهم.

اختلف المفسرون في المقصود بهذه الآية على وجهين:
1. القول الأول:
أنها تصف المنافقين أنفسهم، أي أن المنافق لا هو من المؤمنين ولا هو من اليهود.
فهو ليس مسلمًا صادقًا ولا يهوديًا صريحًا، بل يعيش في حالة تذبذب بين الطرفين.
قال تعالى في وصفهم:
{مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِۚ}
يتلونون بحسب المصلحة.

2. القول الثاني:
أن الجملة تصف اليهود، أي أن المنافقين تولّوا اليهود الذين لا هم من المسلمين ولا من المنافقين.
فاليهود يظلون يهودًا، لا يبدّلون عقيدتهم ولا يوالون المؤمنين، ومع ذلك يسعى المنافقون لكسب ودّهم.
و إذا أخذنا بالمعنى الثاني، فالمعنى يحمل مبالغة في الذمّ:

فالمنافق يتولى قومًا لا يجمعه بهم دين ولا مبدأ، يستغلونه لتحقيق مصالحهم في حرب الإسلام، وعند أول منعطف يتركونه بلا اعتبار لأنهم لا يعدوه إلا وسيلة.

ولو انضم للمسلمين ، لكان من حزب الله المفلحين، لكنه اختار طريق الخيانة والخذلان.
{وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُون}
أي يدركون تمامًا أنهم كاذبون حين يحلفون.

وكذلك الآية تصف حال المنافقين حين يواجهون النبي ﷺ والمؤمنين بقولهم: {ءَامَنَّا} ، {وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ}
فهم يكذبون ثم يحلفون كذبًا لتثبيت باطلهم.
وهذا ما وصفهم الله به في قوله تعالى:
{إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ}
يقسمون كذبًا على الإيمان وهم يعلمون بباطنهم خلاف ذلك. وهو مايعرف بـ "اليمين الغموس".

اليمين الغموس :
هو أن يحلف الإنسان كاذبًا وهو يعلم أنه كاذب.
وسمي "غموسًا" لأنه يغمس صاحبه في النار.
وهو من أكبر الكبائر، إذ يجمع بين الكذب والاستهانة بإسم الله.

لو أن إنسانًا نسي حقيقة أمرٍ ما فأنكر وحلف ظنًّا منه أنه صادق، فلا إثم عليه، لأنه لم يعلم أنه كاذب حين حلف.
أما إن علم أنه يكذب ويخالف الحقيقة وقت الحلف، فهذا هو اليمين الغموس المحرّم.
فإياك أن تحلف على كذب.

إذا حلف شخص على أمر سيقوم به في المستقبل، وقال: «والله سأفعل كذا»، فهذا يُسمّى يمين الحلف.

وإذا لم يفعل ما حلف عليه عند وقوع الوقت، يجب عليه كفارة اليمين، وهي:
إطعام عشرة مساكين، أو
صيام ثلاثة أيام إذا لم يستطع الإطعام.
أما اليمين الغموس فهو مختلف، إذ تحلف فيه على أمر حصل بالفعل، وأنت تعلم أن الأمر لم يحدث أصلاً.

حكم اليمين الغموس :
لا كفارة له، لأنه أعظم من أن تُكفَّر بإطعام أو صيام.
وطريق التوبة منه هو الندم الصادق، والاستغفار، والإكثار من العمل الصالح رجاء مغفرة الله.

رأي العلماء به:
اليمين الغموس لا تتعلّق بالمستقبل، بل بالماضي، حين يُقسم المرء على شيء وقع وهو يعلم أنه لم يقع.

آداب الحلف :
1. عدم الحلف كاذبًا أبدًا.
فالكذب مع اليمين من كبائر الذنوب، وعقوبته شديدة.

2. عدم الإكثار من الحلف ولو كان صادقًا.
لأن كثرة الحلف تذهب بمهابة اليمين، وتوقع الإنسان في الكذب من غير قصد.
قال تعالى:
{وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ}
أي لا تكثروا الحلف، ولا تستعملوا اسم الله في كل شأن.

3.أي لا تتخذوا الحلف عادة تردّدونها في كل أمر.
قال تعالى:
{وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ }

ملخص المحاضرة الثالثة

اختر فريقك

أثر كثرة الحلف:

كثرة الحلف قد تؤدي إلى الكذب، وتُسقط الثقة بين الناس.

من اعتاد الحلف يُظَن به الكذب ولو كان صادقًا، ويصبح غير موثوق لدى الآخرين.

أما من يحلف قليلاً، أو على الأمور المهمة فقط، فإن الناس تصدقه ، لأن حلفه محدود ويظهر جديته وصدق أقواله.

(الآية 15):

{أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}

العذاب الشديد أعدّه الله للمنافقين في الدرك الأسفل من النار، لأن نفاقهم أخطر من كفر الكافرين الصرحاء.

فالكافر الصريح معروف العداء، أما المنافق عدو باطن، فيطعن الصفّ الإسلامي من الداخل، ولذلك كان خطره أشد وعقوبته أعظم.

(الآية 16):

{اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ}

أيمانهم: أي حلفهم الكاذب.

جنة: أي وقاية وستر

المنافقون جعلوا أيمانهم الكاذبة درعًا يحتمون به من العقوبة أو الفضيحة.

فإذا إتُّهم أحدهم بالنفاق أو الإساءة إلى النبي ﷺ، حلف بالله أنه بريء، فيُصدّق لقلة البيّنة.

فتلك اليمين الباطلة حفظت دماؤهم وأموالهم من نيل العقوبة.

ورد عن بعض المنافقين أنهم قالوا: "إن مثلنا مثل هذا الرجل، كما قيل: "سمن كلبك يأكلك".

وقد سمع بعض المؤمنين هذا الكلام، فذهبوا ليخبروه النبيَّ ﷺ، فلما سُئل المنافق، أنكر وقال: والله لم أقل هذا الكلام.

ووردت أحداث كثيرة مشابهة، حيث فضح الله كذبهم في القرآن في سورة التوبة:

{يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ }

(التوبة: 74)

والعبرة هنا أن بعض المنافقين كانوا يحاولون التهرب من العقوبة بالكذب والإنكار، خاصة إذا لم يكن هناك شاهد على كلامهم. فاليمين يستخدمها للهروب من التهمة، بينما البينة تكون على من يدعي الحق. هذا يوضح خطورة النفاق وأساليب المنافقين في التملص من المسؤولية.

{فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ}
الصدّ: هو المنع والإعراض.

وهذا يشمل نوعين من الصدّ:
1. صدّ غير المسلمين عن الإسلام:
فالمنافق حين يظهر الإسلام ثم يهاجم الدين من داخله، ينفّر الناس من الدخول فيه.
فعندما يرى غير المسلم من يُحسب على المسلمين يهاجم دينهم، يظن أن الإسلام باطل، فيُعرض عنه، وهكذا يكون المنافق قد صدّ عنه الدخول في سبيل الله.

2. صدّ المؤمنين عن الطاعة والعبادة وتثبيطهم:
فالمنافق لا يكتفي بنفسه، بل يثبّط غيره عن العمل الصالح.
فإذا دعاهم النبي ﷺ إلى الجهاد قالوا:
{قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا} (الأحزاب 18)
وكما قالوا:
{يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا } (الأحزاب 13)
وإذا حثّهم على البذل قالوا ساخرين من المتصدقين:
{الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَٰتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (التوبة 79)
فهم يثبّطون المؤمنين عن الجهاد، وعن الصدقة، وعن العبادة.

صفات المثبّطين :
غالبًا ما يحاول المنافقون إحباط المؤمنين وتشويه حماسهم، فتسمع أقوال مثل:
"لا تذهبي للصلاة، اجلسي معنا".

"لا ترتدي الحجاب، أنت جميلة هكذا".
"ما الذي فعلته بنفسك؟ لماذا تفعلين ذلك؟"
المغزى هنا أن هؤلاء الأشخاص يسعون لإضعاف إيمانك وإبعادك عن طاعة الله. لذلك، بعد أن تعرفتِ على أن من صفات المنافقين أنهم يعيقون ويثبطون ويصدون عن سبيل الله،

على المؤمن أن يسأل نفسه:
هل فيه صفة من صفات المنافقين؟
ليس بالضرورة أن يكون الإنسان منافقًا كامل النفاق، لكن قد توجد فيه خصلة من خصالهم، كأن يُحبّط غيره عن العبادة أو الخير.
إياك أن تكون سببًا في تثبيط أحد.
بل كن مشجعًا على الطاعة حتى وإن كنت لم تفعلها بعد.
شجّع غيرك على الصلاة، على الحجاب، على طلب العلم، على حفظ القرآن.
ولو كنت مقصّرًا، فادعُ غيرك وقل: "ادعُ لي أن أكون مثلك يومًا".
المؤمن الصادق لا يصدّ الناس عن سبيل الله، بل يعينهم عليه

{فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ}
العذاب المهين هو العذاب الذي يجمع بين الألم والإهانة، الذي يكسر كبرياء صاحبه ويذله.

قال تعالى:
{ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ} (القمر 48)
السحب على الوجه فيه إهانة وذل، بخلاف السحب على الظهر، مما يدل على أن العقوبة ليست فقط ألمًا جسديًا، بل إذلالًا معنويًا
وقال تعالى:
{قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ } (المؤمنون 108)
وهذا أمر بالإهانة والسكوت الدائم.
وقال أيضًا:
{ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ } (الدخان 49)
أي يسخر الله منهم يوم القيامة بما كانوا يتكبّرون به في الدنيا.

فهكذا يُهان المنافق في النار، كما كان يستهين بطاعة الله في الدنيا.

(الآية 17) :
{لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُولَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ}
فعل المنافقون كل ما فعلوه—من كذبٍ ونفاقٍ وحلفٍ—خوفًا على أموالهم وأنفسهم.
ظنّوا أن الكذب يحميهم من الفقر أو الخطر.
لكن ما حرصوا عليه لن ينفعهم شيئًا، ولن يغنيهم عن عذاب الله.

القاعدة مستفادة:
"من عصى الله لأجل مصلحة دنيوية، حرمه الله من تلك المصلحة، ولو نالها لما بارك له فيها، بل عوقب بنقيض قصده".
فمن نفاقهم: أنهم حلفوا كذبًا ليحافظوا على أموالهم، فقال الله: {لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْـًٔا}.

أمثلة من الحياة الواقعية:

من تنازل عن دينه من أجل وظيفة، لن يبارك الله له فيها ولا بماله منها.
من ترك الصلاة لأجل العمل، لن يبارك الله له في عمله.
ومن تبرّجت لتنال زواجًا، لن تجد البركة في حياتها.
من باع دينه لأجل دنيا، خسر الدنيا والآخرة معًا.

التحذير من استعجال الرزق بالمعصية، وأن الرزق الحقيقي هو بالبر والطاعة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:
"لا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعصية الله، فإن ما عند الله لا يُنال إلا بطاعته".

اتبع طاعة ربك مهما كلفك الأمر، فنهايتها خير للمتقين.

{أُولَـٰٓئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ}

المقيمين فيها إقامة دائمة.
هم ليسوا زوّارًا أو عابرين، بل ملازمون لها أبدًا.
{خَـٰلِدُونَ}
تعني لا موت بعدها ولا خروج منها.
عاقبة الكفر الخلود في النار.

مما يورث الخوف والرعب في قلب المؤمن، فيحمد الله على نعمة الإسلام ويتمسك بها.

التحذير من بداية الانحراف :

الكفر لا يبدأ فجأة، فبدايته معصية تتبعها أخرى حتى يظلم القلب.
فمن أراد النجاة فليجعل بينه وبين الكفر وقايةً من التقوى، وليحذر من المعاصي التي تُقرّب منه.

(الآية 18) :
{يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَـٰذِبُونَ}
معنى "جميعًا"
فيها قولان:
1. القول الأول : يبعث الله الأولين والآخرين جميعًا للحساب.
كما قال تعالى:
{ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ } (الواقعة 49-50)

2. القول الثاني: أن الله يجمع أجزاء كل إنسان مهما تفرقت.
فمن احترق أو تفرّق جسده في الأرض أو البحر، فإن الله يجمعه كما قال تعالى :
{وما تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَـٰتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ} (الأنعام 59)
فحين يُبعث المنافقون، يتجرأون على الله ويحلفون لله كما كانوا يحلفون للناس في الدنيا.
يتوهمون أن الكذب سينفعهم كما نفعهم مؤقتًا في الدنيا.

{ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} (الأنعام 23)

فيُكذّبهم الله:

{ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ}

(الأنعام 24)

يحلفون ويزعمون الإيمان، ويعترفون بذنوبهم والله يعلم السر وأخفى، فلا ينفعهم شيء في ذلك اليوم، لأن إيمانهم لم يكن حقيقيًا من قبل.

بعد أن يدرك الكافرون والمنافقون استحالة الرجوع ويعلمون أنه لا أمل لهم في النجاة، يبدأون بطلب التخفيف عن عذابهم، فيُقال لهم:

{اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ}

ثم يحاولون مخاطبة خازن النار قائلين له:

{يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ}

ثم يطلبون الموت، غاية أملهم

{إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ}

حين يجدون أن كل طرق العودة إلى الله قد قطعت، فيتجهون إلى خازن النار مستسلمين لمصيرهم المحتوم يطلبون أن يخفف الله عنهم ما هم فيه،

{قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَـٰٓؤُا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ}

(غافر 50)

ضرورة المحافظة على الرجاء بالله قبل فوات الأوان.

{ فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ}

يبدأون بالحلف على البراءة من الشرك والنفاق ويحسبون أنهم على شيء، لكنهم كاذبون

{أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ}

الكاذبون: المنافقون الذين يخالفون ما يحلفون به.

فيها توكيد قوي على كذبهم بتكرار الضمائر: إنهم هم الكاذبون.

الكذب والخداع لا يفلتان من العدالة الإلهية.

(الآية 19):
{اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ}

استحوذ أي ضمهم إليه وغلب، على قلوبهم وعقولهم،
حتى صاروا في قبضته، دون مقاومة لأنهم فتحوا له الأبواب، حين يضعف الإيمان ويقلّ الذكر تتسلّل وساوس الشيطان حتى تسيطر تمامًا على القلب، فينزع من العبد أعظم سلاح وهو ذكر الله.

الشيطان لا يكتفي بإضعاف المؤمن، بل يسعى إلى نزع السلاح بالكلية، فيجعل العبد غافلًا تمامًا عن الله. فما دامت هناك ذِكرى أو توبة محتملة، فثمة خطر على سلطانه.
قال تعالى:
{فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ}
عندما انحرفوا بإرادتهم، جازاهم الله بزيادة الضلال،
فالاستحواذ لا يأتي فجأة، بل يبدأ من باب صغير من التقصير:
كترك ورد، أو تأخير صلاة، أو غفلة عن تلاوة القرآن.
ثم تتتابع الخطوات حتى يُحكم الشيطان قبضته

حماية النفس من استحواذ الشيطان :
الشيطان ضعيف جدًا، لا يملك سلطانًا على المؤمن المتوكل على الله.
{إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ}

فلا تخف من الشيطان، ولا من الحسد أو السحر، ولا تعش في وساوس دائمة.

الخوف من الشيطان هو باب من أبواب ضعفه عليك، لأن الله قال:
{إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}
(آل عمران: 175)

المؤمن الحقيقي أقوى من الشيطان أضعافًا مضاعفة، لأن الله معه.
فإذا وسوس الشيطان أو حاول الاقتراب، فإن أهل التقوى ينتبهون فورًا، ويستعيذون بالله.
قال تعالى:
{إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ}
(الأعراف: 201)
فما إن يشعروا بوسوسةٍ حتى يتذكروا الله، فينقلب ضعفهم قوةً، وظلمتهم نورًا.

المؤمن لا يُهزم ما دام ذاكرًا متوكلًا، لأن الذكر يقطع تسلط الشيطان ويعيد البصيرة إلى القلب.

خطوات عملية للتحصين من الشيطان :
1. المحافظة على الأذكار: أذكار الصباح والمساء حصنٌ متين.
2. الإلتزام بالصلاة في وقتها، فهي صلة مباشرة بالله.
3. الرقية الشرعية للنفس والأهل والبيت بالقرآن.
4. الإكثار من الذكر.
5. قطع وساوس الخوف: لا تكرّس تفكيرك في السحر أو الحسد، بل وجّه قلبك نحو التوكل واليقين.

الشيطان لا يستطيع أن يتسلط على قلبٍ عامر بذكر الله.

استحواذه لا يكون إلا على من غفل، أما الذاكرون، المتوكلون، الواعون لقوة ربهم، فلا سبيل له إليهم.

مظاهر نسيان ذكر الله :

1. نسيان الذكر بالقلب:
يغدو القلب لاهيًا، لا يفكر في الآخرة ولا في إصلاح النفس، بل ينشغل بالدنيا وشؤونها السطحية.

2. نسيان الذكر باللسان:
يندر التسبيح والدعاء، وتضعف الأوراد.

3. نسيان الذكر بالجوارح:
يؤدي العبادات بلا روح ولا خشوع، كما قال تعالى:
{وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلَوٰةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ النَّاسَ}.
فتغيب الحياة عن الجسد، ويُصبح الذكر عادة لا عبادة.

ظاهرة التصحر الإيماني :
ويقصد بها جفاف القلب الروحي
بعد خضرة الإيمان. وفقدان النشاط الإيماني.
ويبدأ حين يقلّ الذكر والقيام وقراءة القرآن، فيفقد القلب رطوبته ولذّته، ويصبح هشًّا ضعيفًا سريع الانكسار.
عواقب التصحّر الإيماني :
1. ضعف الإلتزام الداخلي رغم المظهر الديني.
2. خلل في المعاملة والسلوك، كالمشكلات الأسرية والأخلاقية الناتجة عن غياب الإيمان الحقيقي.

العلاج والمقاومة :
الرجوع إلى الذكر.
المداومة على الأوراد والقيام والقرآن.
عدم الرضا بالتراجع الإيماني.
من لاحظ جفاف قلبه فليعلم أنها بداية الانهيار، فليجدد إيمانه قبل أن يتكسر الزرع تمامًا.
{أُولَٰٓئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَٰنِ هُمُ الْخَٰسِرُونَ}
النتيجة من نسي ذكر الله صار من حزب الشيطان، الذين يسلكون طريق المعصية والبعد عن الحق، خسروا في الدنيا والآخرة.

ملخص المحاضرة الثالثة

اختر فريقك

الله عز وجل جعل الذل في المعصية، فلا ينعم المخالف بالاطمئنان حتى لو كان في موطن عز.
الغفلة عن الذكر ليست ذنبًا عابرًا، بل علامة انضمام إلى معسكر الخسارة.
الابتعاد عن الحق يجعل القلب دائمًا في خوف وقلق.
المعصية مهما بدت مغرية، تُدخل الإنسان في الذل والهوان.
الإلتزام بطاعة الله يمنح القوة الداخلية والطمأنينة.

يخدع بعض الناس أنفسهم حين يظنون أن ترك الطاعة تحرّر، فيتبرمون من أوامر الله لأنها "قيود".
لكنهم لا يدركون أن الخروج من طاعة الله ليس حرية، بل انتقال من عبودية الرحمن إلى أسر الشيطان؛
فمن رفض الانقياد لربٍّ رحيم، انقاد لعدوٍّ يريد له الهلاك.
الحرية الحقيقية أن تطيع من خلقك لكرامتك، لا من يقودك إلى مهانتك.

المفارقة بين نوعين من القيود :
قيود الطاعة: **عزٌّ وكرامة، لأنها انقياد لمن يريد لك الخير ويهديك إلى التوبة.**
قيود المعصية: **ذلٌّ وامتهان، لأنها خضوعٌ لشيطانٍ يريد ضرك وإذلالك.**

الاستحواذ الشيطاني اعتقال لا يُفك قيده إلا بتوبةٍ صادقة، تعيد القلب إلى نور الذكر والطاعة.
أما من أصرّ على غفلته، فسيقع في قيدٍ أشدّ، في نارٍ لا فكاك منها.

الحرية الحقيقية هي في طاعة الله، لا في معصيته.
من ترك الطاعة صار عبدًا لهواه وللشيطان.

الطاعة عزّ، والمعصية ذلّ.

بقدر غفلة الإنسان يكون استحواذ الشيطان عليه.

خطة الشيطان المحكمة كما بيّنها القرآن الكريم

بيّن الله تعالى مكر الشيطان وخطواته المتدرجة في إضلال الإنسان، من الإغواء إلى السيطرة الكاملة:

1. الإغواء (الاستهواء)

الاستهواء هو بداية الطريق، حين يزيّن الشيطان الباطل فيضلّ العبد عن الهدى ويتيه بلا وجهة.

قال تعالى:

{ قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ } (الأنعام: 71)

2. الزلل (الاستزلال)

بعد الإغواء، يدفع الشيطان العبد إلى الزلل والمعصية، مستغلاً ضعف النفس وآثار الذنوب.

قال تعالى:

{إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَـٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا}
(آل عمران: 155)

3. الاستحواذ والسيطرة

هي المرحلة الأخيرة؛ حين يهيمن الشيطان على القلب والعقل حتى يُنسى ذكر الله ويُغلق باب التوبة.

قال تعالى:

{اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَـٰنُ فَأَنسَـٰهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ}

هي خطة محكمة، فمن أراد النجاة فليقطع الطريق من أوله، باليقظة ودوام الذكر والالتجاء إلى الله قبل أن يُحكم الشيطان قبضته.

(الآية 20):

{إِنَّ الَّذِينَ يُحَآدُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَـٰٓئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ}

يحادون: يعادون ويخالفون أوامر الله ورسوله، يعيشون دائمًا في الذل والخوف والاضطراب النفسي، مهما كانت مكانته.

(الآية 21):
{كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}
فالله تعالى غالب دائمًا.

التمكين الزائف وثمن بيع الدين
فلو افترضت أن الكفار منحوك التمكين، وأعطوك السلطة والجاه، بشرط أن تكفر أو تنافق أو تهاجم الدين، أو تبيع دينك.
ففي الظاهر أنت في عزّة، تملك الصلاحيات والجاه، لكن في الحقيقة، أنت مهزوم عند الله، لأنك بعت دينك ومبادئك في مقابل الوصول إلى السلطان، فمن فهم هذه الآية أدرك ذلك.

{إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}
الله سبحانه وتعالى قوي وعزيز، لا يغلبه أحد، ولا يغالبه.

من أمثلة النصر أيضًا:
نصر الحجة، كما قال تعالى: {وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ}
ابن تيمية رحمه الله كان يُسجن، ومع ذلك كان هو العزيز، وأعداؤه الأذلاء.
يقول: "ما يفعل أعدائي بي؟ إن حبسوني حبسي خلوة، وإن قتلوني قتلي شهادة، وإن نفوني نفيي سياحة."
ولما أغلقوا عليه باب السجن، ذكر قوله تعالى:
{فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَـٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ}

وكذلك الإمام أحمد بن حنبل، عُذّب على يد الخلفاء لأنهم أرادوه أن يقول بخلق القرآن، فأبى، و ثبت على القول بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وظل يُعذّب ثمانيةً وعشرين شهرًا، ثم نصره الله ونصر منهجه، وكان هو المنتصر، وأعداؤه الأذلاء.

(الآية 22) :
{لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ}

استخدام أسلوب النفي، أقوى من أسلوب النهي، يدل على استحالة وجود مثل هؤلاء.
(لأن النهي يقول: "لا تفعل"، أما النفي فيفيد أن هذا الفعل لا وجود له أصلًا).
المقصود أن الإيمان بالله لا يجتمع مع محبة أعداء الله،
ومحبة الرحمن لاتجتمع مع محبة أولياء الشيطان.
فمحبة الرحمن وأولياء الشيطان لا تجتمعان في قلب واحد.
يواد: من الود

أمر الله أن نعامل الكفار بالبرّ والعدل، كما قال تعالى:
{لَا يَنْهَـٰكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَـٰرِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ}

فالمقصود بالبرّ والقسط هنا هو العدل والإحسان في المعاملة، لا المحبة القلبية.
يمكن للإنسان أن يعامل من لا يحب معاملة طيبة لله تعالى.
فالمعاملة الحسنة لا تعني المحبة، وإنما هي التزام بأمر الله في العدل والإحسان.
أما المحبة، فهي لا تكون لمن لا يحب الله.

من حاد الله ورسوله: من عادى الله ورسوله ورفض أو خالف أمره.

{وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ}
يقال نزلت في أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، حين قتل أباه يوم بدر رغم أنه كان يتحاشاه.

{أَوْ أَبْنَآءَهُمْ}
نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، إذ كان ابنه عبد الرحمن في صف المشركين يوم بدر، فقال له أبو بكر بعد إسلامه: "لو رأيتك يوم بدر لقتلتك".

{أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ}
نزلت في مصعب بن عمير رضي الله عنه، حين قتل أخاه عبيد بن عمير في بدر.

{أَوْ عَشِيرَتَهُمْ}
وفيها قولان:
قيل نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حين قتل قريبًا له في بدر.
وقيل في حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث، لأنهم قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر.

وفي أسرى بدر، لما اختار النبي صلى الله عليه وسلم الفداء، كان لعمر بن الخطاب رأي آخر، فقال:
"يا رسول الله، لا أرى ذلك، أرى أن تمكنني من فلان قريب لعمر، وتمكن عليًا من عقيل، وتمكن فلانًا من فلان، حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين".

فختم الله تعالى بقوله:
{أُولَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَـٰنَ}
أي: أقر الإيمان، وجعله ثابتًا في قلوبهم.

فكلما أظهر العبد ولاءه لله وبراءته من أعدائه، زاد إيمانه وثبته الله أكثر، وهذه هي مكافأة الصادقين في الإيمان.
من يطيع الله ويضحي لأجله، فإن الله يكافئه، ويزيد الإيمان في قلبه، ويثبّته ويحفظه من الشيطان.
{وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ}
وقيل إن المقصود بالروح ■ هو القرآن، كما في قوله تعالى:
{وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا}
فالله أيّد المؤمنين بالقرآن، وبالإيمان، وبالدعوة، وبالعلم.
وقيل أيضًا: الروح هو جبريل عليه السلام، وهذا معنى عظيم؛ إذ إن من يتولّى الله يؤيّده بملائكته، ومنهم جبريل عليه السلام.

{وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ}
أي جنات متعددة، تجري من تحت قصورها ومساكنها الأنهار، خالدين فيها، آمنين من الموت.

الموت هادم اللذات.
فمجرد تذكّره يفسد على الإنسان متع الدنيا، لكن في الجنة لا موت، لذلك قال أهلها:
{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِيَ أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ}
لأن الحزن الأكبر في الدنيا هو الخوف من الفناء.
وقال تعالى عنهم:
{الَّذِيَ أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ}
{خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا}
{رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ}
أعظم نعيم أهل الجنة: رضوان الله وهذه هي الجائزة الكبرى.

وقد ورد في الحديث أن الله يطلع على أهل الجنة فيقول:
«يا أهل الجنة، هل تريدون شيئًا أزيدكم؟» فيقولون: يا رب، وما الذي يمكن أن تزيدنا وقد أنعمت علينا؟فيقول: «أحلّ عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم أبدًا».

فالجزاء من جنس العمل؛ لأنهم رضوا عن الله في الدنيا رضي الله عنهم في الآخرة.
قاعدة إيمانية:
من ترك شيئًا لله عوّضه الله خيرًا منه
ذكر الله الرضا بعد أن ذكر أنهم أسخطوا آباءهم وأبناءهم في سبيل الله، فخسروا رضا الناس عنهم ليرضوا الله.
فكانت المكافأة أن الله رضي عنهم برضاه، وهذا أعظم ما يُنال.
من ترك شيئًا لله عوّضه الله خيرًا منه، ومن أسخط الناس برضا الله، رضي الله عنه ثم أرضى عنه الناس.
{أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ}
يا له من وصف جميل
{أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}
وهذه بشارة بأنهم المفلحون في الدنيا والآخرة.

وبهذا الختام الجميل تنتهي هذه السورة المباركة، نسأل الله أن يتقبل منا ومنكم، ويرزقنا فهم القرآن وتدبره.